الغربة في شعر أبي إسحاق الغزي

دكتور/ خالد بن فهد بن موسى البهلال
أستاذ مشارك تخصص الأدب والنقد – قسم اللغة العربية وآدابها
كلية التربية –جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز في الخرج
المملكة العربية السعودية

المستخلص:
موضوع البحث: الغربة في شعر أبي إسحاق الغزي.
ينهض هذا البحث للوقوف عند مظاهر الغربة في شعر أبي إسحاق الغزي، وتبين بواعثها، وأنواعها، وقد اعتمد البحث المنهج التحليلي الوصفي؛ حيث سعى لاستنطاق معاني الغربة من شعره، وكشف ما فيها من معان تشير صراحة، أو تلميحاً إلى معاناته من الغربة، وكيف واجهها، ومن خلال تتبع أخباره في كتب التراث الأدبي أيضاً، وقد كشف البحث عن جملة من النتائج، تتلخص فيما يلي: أن الغربة ظاهرة اجتماعية قديمة قدم الإنسان نفسه، وقد تحدثُ عند أيٍ من أفراد المجتمع، لكن لا يمكن إغفالها إذا عاشها شاعر كبير، له أثره، ثم تناول البحث معنى الغربة اللغوي، ومفهومها، ومسبباتها، ثم حديثاً عن سيرته وغربته، ثم كشف البحث أبرز المظاهر التي تدور في فلك الغربة عنده، متمثلة في الغربة المكانية، والاجتماعية، والزمانية.
أهم التوصيات: يوصي البحث بالتوسع في تناول مظاهر الغربة لدى الشعراء الذين تجلت مظاهرها في أشعارهم، خاصة من ملك القدرة على وصف معاناته، وكيفية مواجهته للغربة، سواء كانت مكانية، أو زمانية، أو سياسية، أو نفسية، أو اجتماعية.
الكلمات المفتاحية: الغربة، الاغتراب الزماني، الاغتراب المكاني، الاغتراب الاجتماعي.

Extract:

Dr. Khalid Fahad Albahlal \ Prince Sattam Bin Abdulaziz University

Research topic: Estrangement and alienation in the poetry of Abu Ishaq Al-Ghazi.

The objectives of the research are to determine the manifestations of estrangement and alienation in the poetry of Abu Ishaq Ibrahim bin Othman Al-Ghazi, and to explain its causes, types and status through his poetry.

Research Methodology: The research relied on the descriptive analytical method, as it seeks to investigate the meanings of estrangement and alienation from the poetry of Abu Ishaq Al-Ghazi; And that is by tracing his news in heritage books, extrapolating his poetry from his poetry, and revealing what it contains of meanings that explicitly or imply to the suffering of estrangement and the hardship of alienation.

The search resulted in a number of results, which are summarized as follows:

The introduction, where it highlighted the importance of the topic, and that estrangement and alienation are among the noticeable social phenomena that cannot be overlooked, especially if a great poet lived it with his impact, presence and influence, then the preface, which included the meaning of estrangement and linguistic alienation, the concept of alienation, and the causes of alienation, then a brief talk on the biography of Abu Ishaq Al-Ghazi, then came the manifestations of alienation in the poetry of Abu Ishaq Al-Ghazi, and from the results also that the poetic material of every poet who suffered alienation and its intensity is what can be relied upon in explaining the extent of the impact of estrangement and alienation in his life and in his poetry, as the research revealed the most important topics that revolve in the alienation orbit. And alienation according to Abu Ishaq al-Ghazi, and was represented in spatial, social, and temporal alienation.

The most important recommendations: The research recommends expanding in dealing with the manifestations of estrangement and alienation among poets who suffered from it, and its manifestations were manifested in their poems, as it is a phenomenon that is manifested in poets more than others, and poets vary in their statement and their pictorial and expressive abilities, each poet describes his suffering and alienation that burdened him , whether it is spatial, temporal, political, psychological or social alienation.. The research also recommends expanding the study of Abu Ishaq Al-Ghazi's poetry, as it is rich in topics on which nothing has been written before until writing this research.

Keywords: estrangement, temporal alienation, spatial alienation, social alienation

مقدمة:

بينما كنت أقرأ في سيرة الشاعر أبي إسحاق إبراهيم بن عثمان الغزي، لفت نظري نصٌ نثري له، أورده العماد الأصفهاني، تحدث فيه عن أهمية الشعر، والاكتساب به، وشح الناس، وبخلهم، وأشار فيه لغربته، ومعاناته، يقول منه: "إن الشعر زبدة الأدب، وميدان العرب، كانوا في جاهليتهم يعظمونه تعظيم الشرائع، ويعدونه من أعلى الذرائع، وجاء الإسلام، فأجراه على الرسم المعهود، في قطع لسان قائله بالجود، وإذا طالعت الأخبار، وصح عندك ما فاض من إحسان النبي صلى الله عليه وسلم على حسان، وثابت بن قيس، وخلْعه البردة على كعب بن زهير، واهتزازه للشعر الفصيح، وقوله: (إن من الشعر لحكماً) علمت أن إكرام الشعراء سنةٌ ألغاها الناس لعمى البصائر، وتركيب الشح في الطباع، وقد كنت في عنفوان الصبا، أُلم بخزامى الرُّبا، وأنظمه في غرض يستدعيه، لأذن تعيه، فلما دُفعت إلى (مضايق الغربة) جعلته وسيلة تستحلب أخلاف الشيم، وتستخرج درر الأفعال من أصداف الهمم، حتى إذا خلا من راغب في منقبة تحمد، ومأثرة تخلد، وثبت من (الانزواء) على فريسةٍ، لا يزاحمني فيها أسد، ولا يرضى بها أحد، على أن من سالمه الزمان، أجناه ثمر الإحسان، ومن ساعدته الأيام، أعثرته على الكرام"(١)، فهو يبين عن قلة المبالين بالشعر، فقلّ من يرغب بالثناء والمديح، فالناس لا يطربون للشعر، ولا يهتزون للمديح، ثم وجدت ابن خلكان ينقل عنه أنه لما حضرته الوفاة قال: "أرجو أن يغفر الله لي لثلاثة أشياء: كوني من بلد الإمام الشافعي، وأني (شيخ كبير)، وأني (غريب)، رحمه الله تعالى، وحقق رجاءه"(٢)، فشدتني كلمة (غريب)، وترحمت عليه، فكم في طي هذه الكلمة من الأسى، والأسف، والحزن العميق على الأهل والديار؟ وكم فيها من التشوق لعهود الصبا، ومراتع اللهو، ومآرب قضاها الشباب هنالك؟ وأوجعني قوله: (وأني شيخ كبير)، فالإنسان يعيش في ظل شعور قوي بالزمن، وهذا الشعور سببه إحساس قوي بالذات، ذلك أن الإنسان إنما يعي ذاته، ويكوِّن خبرته عن هذه الذات من خلال إحساسه بالزمن، فهو الذي يقول:

قَمَرُ العمرِ في المحَاقِ مِن الشَّبِ وهَلْ بعدَ ذَاك إلا السِّرارُ(٣)

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، للعماد الأصفهاني الكاتب، قسم شعراء الشام، تحقيق د. شكري فيصل، المطبعة الهاشمية بدمشق، ١٣٧٥ه، ١/٣-٥.

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١/٦٠.

(٣) ديوان الغزي، تحقيق د. عبدالرزاق حسين، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ١٤٢٩ه، ص ٦١٠.

ويقول:

شَـــيْخُوخَةٌ وخَـــصَاصةٌ فـــي غُرْبَـــةٍ وقَرِيحـــةٌ تنبـــوُ وزَنْـــدٌ لا يَـــرِي[1]

إن الإنسان –كما يقال– موجودٌ زماني، باعتبار أنه كما يعيش في الحاضر فإنـــه يعـــيش في ماضيه، ثم هو يعيش أيضاً للمستقبل الذي يسعى لإيجاده، وتكوينه، مجتهداً أن يكـــون خيراً من سالفه، ومرور الأيام يراكم الخبرات والتجارب، ويشكل الذات الإنسانية، وقـــد أدرك الإنسان منذ القدم أنه لا يمكن أن يكون خارج نطاق الزمن، فبه وفيه يـــتم الفعـــل، وإدراك هذه العلاقة المؤكدة بين الزمن والفعل جعلته يشكو من الزمان، وينسب إليه مـــا أصابه من الضعف والوهن والشيخوخة، فاجتمع عليه غربتان، الغربة المكانية، والغربـــة الشيبية، كما سماها بعض الباحثين[2]؛ لذا عزمت أن أكتب عن غربته من خلال شـــعره، فطلبت ديوانه، حتى أدركته، ثم قلبته على عجل، فتأكدت العزيمة على ذلـــك، وبعـــد أن قرأت جل ديونه، وجدت معاني الغربة ظاهرة في شعره، ولا أنسى أن أذكر أن المحقـــق للديوان د.عبدالرزاق حسين وفقه الله قد أشار إلى جانب من ذلك بين يدي الديوان، الـــذي طبعه مركز جمعه الماجد للثقافة والتراث، عام ١٤٢٩ه، فجهده ظاهر، وعمله مشكور.

ويهدف البحث لتحديد مظاهر الغربة في شعر أبي إسحاق الغـــزي، وتبيـــين بواعثهـــا، وأنواعها من خلال شعره، وتسليط الضوء على هذا الجانب الوجداني، والنفسي المهم في الشعر العربي، ومن خلال هذا البحث يمكن التعرف على جانب من سيرة الـــشاعر، وإن كان الاغتراب ظاهرة إنسانية توجد في أي مجتمع بشري، فإن الشاعر غالبـــاً هـــو مـــن يوثق معاناته، في مضامين أشعاره، ويبث فيها ما يعتلج في نفسه، ويشكو ما يلقـــاه مـــن ضيق وشدة، لذا كان الشعر هو مجال هذه الدراسة.

وقد تمثلت مشكلة البحث في استكشاف أثر الغربة في شعر الغزي، ومدى تجليهـــا فـــي شعره، وبيان المظاهر التي عبر من خلالها عن شعوره بـــالاغتراب، فالـــديوان ضـــخم تجاوزت صفحاته الخمسمائة، وهو يحتاج قراءة متأنية، وفاحصة لشعره، ولـــذا كثـــرت الدراسات حول شعره، ومن ذلك: مقاربة أسلوبية لشعر أبي إســـحاق الغـــزي، للـــدكتور ماهر رمضان قنن، وهي دراسة فنية تناولت الموسيقى الإيقاعية، ولم يتناول فيها كاتبهـــا شيئاً عن الغربة، ومن الدراسات: الثنائيات الضدية في شعر أبي إسحاق الغزي، للباحثـــة هويدا صالح كامل، وهي دراسة بلاغية تناولت ثنائيـــة الحـــضور والغيـــاب، والمـــوت

(١) المصدر نفسه، ص٦١٤.

(٢) الاغتراب الشيبي والزمان عند ابن الرومي، إعداد، علي محمد عيسى الشاطوف، مجلة البحث العلمي في الآداب، جامعة عين شمس،العدد ١٦ لسنة ٢٠١٥م–الجزء الرابع، ص١–١٩.

والحياة، والتوليد الاستعاري والبياني والتشبيهي، ومنها: التصوير البياني في شعر أبي إسحاق الغزي، للدكتور بدر بن لافي الجابري، وهي دراسة بلاغية، ومن خلال البحث فإني لم أجد من خص مظاهر الغربة في شعر الغزي بدراسة مستقلة، غير أني وجدت دراسات تتناول الغربة والاغتراب عند بعض الشعراء الذين عانوا من الغربة، ومن ذلك: الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، لعزيز السيد الجاسم، والاغتراب في حياة ابن دراج وشعره، للباحثة روضة بنت بلال المولد، والاغتراب في حياة المعري وأدبه، للأستاذ الدكتور حسين جمعة، والغربة والاغتراب في شعر الإمام الشافعي، للدكتور عاطف محمد كنعان.

وقد اعتمد البحث المنهج التحليلي الوصفي، لاستنطاق معاني الغربة من شعر أبي إسحاق الغزي؛ وذلك من خلال تتبع أخباره في كتب التراث، واستقراء شعره من ديوانه، وكشف ما فيه من معان تشير صراحة، أو تلميحاً إلى معاناة الغربة، ومشقة الاغتراب، كما التزم البحث توضيح الجوانب الموضوعية المتصلة بمصطلح الغربة، وبيان أبرز المواضع التي عبر فيها الشاعر عن معاني الغربة.

أما خطة البحث، فقد تضمنت هذه المقدمة، وتمهيداً يتضمن معنى الغربة، ومفهومها، ومسبباتها، ومظاهرها، ثم المبحث الأول، ويتضمن سيرة أبي إسحاق الغزي، والغربة في شعره، فالمبحث الثاني، ويتناول الغربة المكانية، والثالث يتناول الغربة الاجتماعية، والأخير يتناول الغربة الزمانية، ثم الخاتمة، فمكتبة المصادر والمراجع.

أخيراً:

أشكر جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز ممثلة في مديرها، وعمادة البحث العلمي، حيث تم دعم هذا المشروع العلمي بواسطة عمادة البحث العلمي بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز من خلال المقترح البحثي رقم: (2023/02/23757)

التمهيد: معنى الغربة ومفهومها ومسبباتها ومظاهرها:

أكدت دلالة لفظة الغربة في بعض كتب معاجم اللغة على معنى البعد والنزوح عن الوطن، جاء ذلك عند الخليل بن أحمد يقول: "والغُرْبَةُ: الاغترابُ من الوطن، وغَرَبَ فلانٌ عَنَا يَغْرُبُ غَرْباً أي تنحى... والغُرْبَةُ: النَّوَى البعيد، يقال: شقت بهم غربة النوى"(١)، وأشار صاحب اللسان إلى أن الغربة هي البعد والتنحي عن المجتمع: "والغَرْبُ: الذَّهابُ والتَّنَحِّي عَنِ الناسِ... وَيُقَالُ: غَرَّبَ في الأَرض وأَغْرَبَ إِذا أَمْعَنَ فِيهَا..والغُرْبةُ والغُرْب: النُّزوحُ عَنِ الوَطَن... وغريبٌ: بَعِيدٌ عَنْ وَطَنِه..."(٢).

مفهوم الغربة:

الغربة مصطلح مثير للجدل، وذلك لتعدد تعريفاته، وكثرتها، واختلاف معانيها واتساعها، حتى التبس مفهومها على بعض الباحثين، فأخرجه عن مضمونه، وحمله على دلالات بعيدة وغامضة، وهذا ما جعل المصطلح يتهم بالغموض أحياناً.

وقد تطور مفهوم الغربة في ماهيته مصطلحاً ودلالة، وهدفاً ووظيفة، وإن بقيت الذات الفردية هي المرتكز الذي ينبثق منه التنافر الذاتي، بين الفرد والناس والمجتمع، فهو مفهوم يؤكد التجاذب النفسي، بين المطاوعة والامتناع، وبين الحرية والاستعباد، وبين التوازن والاضطراب، فهو يعبر عن القلق والاضطراب النفسي، والشعور بالخوف، وفقدان الأمن، والتشوق للفرح والسعادة، فهو صراع بين الفرد المتمرد، وبين الوسط الذي يحيط به؛ للتخلص من الاستعباد والاستبداد والاستغلال، والفساد والقهر، والظلم والفوضى.

ومن لوازم البحث معرفة مفهوم الاغتراب في علم النفس، إذ إن الاغتراب النفسي يعتبر أكبر اغتراب يعايشه الإنسان؛ لأنه قد يصل إلى حالة مرضية، يشعر من خلالها بغربته عن نفسه وذاته، مما يحمله على توصيف غربته، وتصوير عذبات نفسه، في أي شيء يلحظه، يقول عبد اللطيف خليفة: "وينظر الباحثون إلى اغتراب الذات باعتباره اضطراباً نفسياً يتمثل في اضطراب الشخصية العصامية، حيث يتسم الشخص العصامي بالعجز عن إقامة علاقات اجتماعية، والافتقار إلى مشاعر الدفء واللين، أو الرقة مع الآخرين... فهناك تشابه بين اغتراب الذات، واضطراب الشخصية العصامية في أنهما يشيران إلى صعوبة استمرارية العلاقات الاجتماعية مع الآخرين من أفراد المجتمع"(٣).

(١) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار الهلال،٤/٤١٠.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م، مادة "غرب".

(٣) دراسات في سيكولوجية الاغتراب، لعبد اللطيف خليفة، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م، ص٨٠.

وفي بعض المراجع التراثية والحديثة، نجد أن معنى الغربة والاغتراب قريب من المعنى اللغوي، فأبو الفرج الأصفهاني يرى أن الغريب هو من تشرد عن وطنه، ونزح عن داره وإخوانه(١).

أما الغربة الشعورية التي تحمل الإنسان على الانطواء والعزلة، والإحساس بالغربة والوحدة فقد وصفها أبو حيان التوحيدي بقوله: "هذا وصف غريب نأى عن وطنٍ بني بالماء والطين...فأين أنت عن غريب قد طالت غربته في وطنه، وقلَّ حظه ونصيبه وسكنه؟ وأين أنت عن غريب لا سبيل له إلى الأوطان، ولا طاقة به على الاستيطان؟"(٢)، ويقول: "بل الغريب من هو في غربته غريب...الغريب من إن حضر كان غائباً، وإن غاب كان حاضراً، الغريب من إن رأيته لم تعرفه، وإن لم تره لم تستعرفه..."(٣)، لقد رسم التوحيدي صورة للمغترب الذي يعاني من انفصاله عن محيطه، وأثر ذلك في نفسيته، ومايلقاه من أسى وحزن، وقسَّم الاغترابَ إلى أنماط ثلاثة: الاغتراب عن الوطن، وعن المجتمع، وعن الذّات، يقول: "وأغرب الغرباء من صار غريباً في وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيداً في محل قربه"(٤).

وجُل من سطر مقالةً أو بحثاً أو كتاباً عن الاغتراب، سواء من علماء النفس المعاصرين، أو من الفلاسفة الغربيين، أو كان من الباحثين العرب لم يتجاوز الأنماط الثلاثة للاغتراب التي ذكرها أبوحيان، بل إن التوحيدي مايز بين نوعي الاغتراب: "الناجم عن إقصاء الشخص بعيداً عن وطنه وثقافته، وهو النوع السلبي من أنواع الاغتراب، أما الاغتراب الثاني فهو حيث يكون الشخص غريباً في وطنه، ويتسم بنوع من التحدي ورفض التقولب بأفكارهم"(٥)، وإذا كان الغريب في تصور التوحيدي هو "في الجملة من كلُّه حُرقة، وبعضه فُرقة، وليله أسف، ونهاره لهف، وغداؤه حزن، وعشاؤه شجن، وآراؤه ظِنن، وجميعه فِتن، ومفرقه محن، وسره علن، وخوفه وطن، الغريب من إذا دعا لم يُجب، وإذا هاب لم يُهب، الغريب من إذا استوحش استُوحِش منه، استوحَش لأنه يرى ثوب الأمانة ممزقاً، واستُوحش منه لأنه يجد لما بقلبه من الغليل مُحرقاً"(٦)، فإنك تشعر أن هذا التصور منطلقه الرؤية الإسلامية، التي ترى المجتمع كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وهو كالبنيان المرصوص، وتضرر أي لبنة منه يعني خللاً يمس الجميع، أما الوجوديون

(١) أدب الغرباء، أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق د.صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م، ص٢١.
(٢) الإشارات الإلهية، أبوحيان التوحيدي، تحقيق د. وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت لبنان، ص٨١.
(٣) المصدر نفسه، ص٨٢.
(٤) المصدر نفسه، ص٨٣.
(٥) نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، د. السيد علي شتا، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م ص٢٦.
(٦) الإشارات الإلهية، ص٨٤.

فينطلقون من رؤية ضيقة مظلمة، يدورون فيها حول أنفسهم، فالمغترب لديهم هو من يفقد ذاته الحقيقة في خضم الجماهير والناس، وفي هذا المبحث سأقتصر على ما أراه داخلاً في صميم هذه الدراسة.

مسببات الغربة:

من خلال التأمل في معاني الغربة في معاجم اللغة، وكلام الأدباء، يتبين أن الاغتراب مصدره الرئيس "اختلاف معادلة طموحات الشخص عن معادلة إمكاناته، فغاية كل إنسان هي السيطرة والتفوق، فإذا لم تمكنه قدراته على تحقيق ما يطمح إليه فقد يغترب، أو ينجرف إلى هاوية سحيقة، لا يتمكن من الخروج منها"(١).

إن أسباب الغربة إما أن تكون اختيارية طوعية، فيضرب في الأرض بحثاً عن الرزق، أو سعياً في طلب للعلم، أو للجهاد في سبيل الله، أو غير ذلك من الأسباب والأهداف المختلفة، وهذا الاغتراب قد يكون اغتراباً محموداً وإيجابياً، هذا أولاً، يقول الجاحظ: "فقسم الله تعالى المصالح بين المقام والظعن، وبين الغربة وإلف الوطن، وبين ما هو أربح وأرفع، حين جعل مجاري الأرزاق مع الحركة والطلب، وأكثر ذلك ما كان مع طول الاغتراب، والبعد في المسافة؛ ليفيدك الأمور، فيمكن الاختبار، ويحسن الاختيار، والعقل المولود متناهي الحدود، وعقل التجارب لا يوقف منه على حد، ألا ترى أن الله لم يجعل إلف الوطن عليهم مفترضاً، وقيداً مصمتاً، ولم يجعل كفاياتهم مقصورة عليهم، محتسبة لهم في أوطانهم؟ ألا تراه يقول: ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن، علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾، فقسم الحاجات، فجعل أكثرها في البعد"(٢).

وثانياً: قد تكون أسباب الاغتراب خارجة عن إرادة الإنسان ورغبته، كمن تشرد جراء الحروب، أو الخوف، أو الفتن، أو تغرب منفياً عن وطنه، بسبب ظلم، أو استبداد، أو تهديد، أو لأمور أخرى.

وقد حدد بعض الباحثين المعاصرين مسببات الاغتراب في محاور ثلاثة، هي: الظلم الاجتماعي، الذي يسبب العزلة، ثم الانحطاط الخلقي، المتجلي في تدهور نظام القيم، وثالثها: الظلم الاقتصادي، الذي يجعل إحدى طبقات المجتمع تتسلط على الطبقات الأخرى، وتستغلها، وبهذا يمكننا أن نتعرف على ثلاثة من أنواع الاغتراب، هي: الاجتماعي، والأخلاقي، والاقتصادي(٣).

(١) الاغتراب وانحراف الشباب العربي، د. عبد المنعم محمد بدر، المجلة العربية للدراسات الأمنية، ص٨٦.

(٢) رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ١١٢/٤، وقد أطلت النقل لنفاسة النص.

(٣) فكرة الاغتراب في الفكر العربي، سحبان خليفات، مجلة أفكار، العدد٢٤، أيلول، ١٩٧٤، ص ٤٢.

لقد كان الاغتراب في البدء ظاهرة نفسية فكرية، ثم أصبح ظاهرة اجتماعية، فثقافية واقتصادية معتمدة على التنافر بين الذات والآخر، بل بين الذات والزمان والمكان، معبرة عن عدم القدرة على التكيف، وأحياناً عن التفرد والاختلاف، وربما وصل الحال إلى الانسلاخ والاستلاب، فهي ظاهرة شديدة التعقيد، وأياً كان سبب الاغتراب، فإنه ثمرة قلق يعاني منه المغترب تجاه مألوفاته، ومحبوباته، ومفقوداته، فيصاب بالملل والسأم، ويشعر بالقلق، ويعاني الاضطراب والتوتر، فيقل إنتاجه، لانشغال عقله، وضيق نفسه، لذا يلجأ للغربة؛ بحثاً عما يعيد إليه هدوء نفسه، وطمأنينتها، فالاغتراب عن المكان أياً كان يعتبر مفارقة نفسية واجتماعية، ومكانية وزمانية، سعياً لإعادة الذات إلى جوهرها الطبيعي، وهناك اغتراب آخر من دون مغادرة للمكان، وهو اغتراب النفس والروح لدى الإنسان الذي لم يفارق مجتمعه، ويعيش داخل وطنه ، فيحس بالانقطاع عنهما، ويشعر بتنافر داخلي حاد، لما يراه في وطنه وبيئته معاكساً لمشاعره الذاتية، ومغايراً لرؤيته العقلية، ومخالفاً لمبادئه الفلسفية، وفي هذه الحال تكون النتيجة اغتراباً روحياً عنيفاً لأسباب مختلفة، منها ما هو ذاتي، ومنها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو ديني، ومنها ما هو سياسي، وهذا ما عبر عنه عدد من شعراء العربية في مختلف العصور المتقدمة، وهذا يشير إلى أن الاغتراب قد غدا قضية فكرية وسياسية واجتماعية، فضلاً عن كونه حالة نفسية وعقلية، عند شعرائنا القدامى، إذ كان يسعى واحدهم للاندماج في المجتمع، فيشق عليه ذلك فيلجأ للخيار الأيسر، وهو الاغتراب، وقد تجلت مظاهر الاغتراب فيما يلي:

١- **العزلة الاجتماعية:**

حيث لا يشعر المغترب بالانتماء لمجتمعه، أو الاندماج في محيطه، ويفضل الوحدة والعزلة على الاختلاط بالناس، ويصعب عليه تكوين العلاقات مع الأفراد الذين يعيش معهم وبينهم، بل إنه يشعر بالوحدة، حتى بين أقرب الناس إليه، يقول إيريك قروم: "إن الشعور بالعزلة تماماً يفضي إلى الموت، فالفرد قد يكون وحيداً بمعنى فيزيائي لعدة سنوات، ومع هذا يمكن أن يتعلق بالأفكار أو القيم، أو على الأقل بالأنماط الاجتماعية التي تمنحه الشعور بالتواصل، وأنه ينتمي إلى شيء، وقد يعيش وسط الناس، ومع هذا يقهره شعور لا يطاق بالعزلة، وتكون النتيجة إذا تجاوز الأمر حداً معيناً إصابة الفرد بالأمراض العقلية"[١]، فأشد المعارك التي يخوضها الإنسان هي تلك التي يخوضها مع نفسه.

(١) انظر الاغتراب النفسي، د.إبراهيم عيد، مكتبة الأنجلو المصرية، ص١٧٠.

إن العزلة في مجملها تعني انعزال الفرد عن المجتمع، وانفصاله عن التراث، وتنكره للأهداف والقيم السائدة، فهو يحاول الهروب إلى الوحدة والعزلة، إذا عجز عن المواجهة، أو المقاومة، أو السعي لتحقيق أهدافه وأحلامه، فتختلط لديه الحقائق بالأوهام والخيالات، فهو يعيش انطوائية نفسية مقلقة، ويعاني من الاضطراب، وتتزعزع عنده الثوابت، فلا يشعر بالأمن النفسي، ويكره ما يحيط به من واقع.

٢- العجز:

وهو نقيض الحزم، فالعاجز هو الضعيف المقصر الذي يفتقد القدرة على فعل ما يجب فعله، من طلب علم، أو كسب رزق، أو دفاع عن الأرض والعرض، يقول أبو الطيب:

يُقتَلُ العاجِزُ الجَبانُ وَقَد يَعجِزُ عَن قَطعِ بُخنُقِ المَولودِ[١]

ويقول:

وَمَن تَفَكَّرَ في الدنيا وَمُهجَتِهِ أَقامَهُ الفِكرُ بَينَ العَجزِ والتّعبِ[٢]

فالعجز يحمل الإنسان على الشعور بالغربة، وقد عرف [كلارك] الاغتراب بأنه حالة من العجز " يشعر فيها الإنسان بأنه قد أصبح مجرداً من القوى، التي تسمح له بتحقيق الدور، الذي كان قد حدده لنفسه في مواقف خاصة"[٣]، فهو غير قادر على اتخاذ القرار، أو الاستقلال الذاتي، فينهزم نفسياً، ويعجز عن المقاومة، ويشعر بحالة من الضعف، ويفقد السيطرة على ذاته، ويشعر بأنه لاحول له، ولا قوة لديه، ويحس بأن مقدراته في مجملها ليست ملكه، ولا رهن تصرفه، فهو لا يتحكم فيها مطلقاً، بل تتحكم فيها، وتسيرها كيانات خارجة عن ذاته، فهو عاجز مكبلٌ، لا استطاعة لديه[٤]، عاجزٌ عن التخطيط لحياته، والاستشراف لمستقبله، ولا يمتلك القدرة على الدفاع عما يؤمن به، وإضافة إلى شعوره بالضعف أمام رغباته يعجز عن اتخاذ أي قرار خاص بحياته، ومتى ما شعر الإنسان بالإحباط، وتكاثرت في وجهه المعوقات، فإنه يهرب إلى التكيف مع الحالة الانهزامية، ويستسلم للتيار الذي يسير به.

٣- التمرد:

"المَرْدُ: التطاول بالكِبْر والمعاصي... وقد تَمَرَّدَ علينا أَي عَتا، ومَرَدَ على الشرِّ وتَمَرَّد أَي عَتَا، وطَغَى"[٥]. والتمرد اصطلاحاً: "الغربة عن الطبيعة، والمجتمع، ورفاق

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ٨٣/١.
(٢) المصدر نفسه، ٨٦٤/٢.
(٣) نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، ص١١٤.
(٤) انظر الاغتراب وانحراف الشباب العربي، ص٨٤.
(٥) لسان العرب لابن منظور، مادة (مرد).

المرء، وذاته، وهي جزء من تصاعده في معراج النمو، ذلك أن على المرء أن ينزع ذاته من رحم البيئة؛ لكي يصبح شخصاً فرداً، وكياناً مستقلاً، والوعي بالذات يتضمن مثل هذا الانتزاع، ويتعين على المرء أن ينظر إلى نفسه، وإلى الآخرين، وإلى العالم، ككيانات غريبة، ومحيرة"[1]، وقد كان استخدام مصطلح التمرد أول مرة يشير إلى (المنشقين عن الكنيسة)، وقد ورد هذا المصطلح في معجم مصطلحات الأدب"dissenters" البريطانية بمعناه الفكري والاجتماعي والديني:

١- الْمخالَفة: الخروج على رأي سائد، أو رأي تفرضه سلطة قوية للدولة، وأصبح التعبير عن هذه المخالفة من سمات المثقفين، في مجتمع يرزح تحت ضغوط شديدة الطغيان.

٢- التَّمرد: الخروج على نواميس المجتمع، وقوانين النظام العام، وعدم الاعتراف بسلطان أي سلطة.

٣- أَهلُ الانشقاق، المنشقون: "طائفة من الإنجليز البروتستانت خرجت على الكنيسة الإنجليكانية؛ لاعتقادها أنها ابتعدت مع الزمن عن الرسالة المسيحية الحقة"[2].

فقد التمرد يكون دينياً، أو سياسياً، أو اجتماعياً، أو فكرياً، وقد يكون أخلاقياً، وهو يخضع لحالة الشاعر النفسية، وتأثير محيطه الاجتماعي، وخلفيته الثقافية، وهو قديم قدم الإنسان، ولكنه لم يتعد التمرد على السيادة، والعادات الموروثة في الأدب العربي القديم، كتمرد الصعاليك في العصر الجاهلي، وأبي الطيب، وأبي العلاء في العصر العباسي، وغيرهما بعد ذلك، وللتمرد أسبابه المختلفة؛ سواء على مستوى الفرد، أو الجماعة، فحين يشعر الفرد بتميزه العقلي، أو البياني، كالنبوغ في الشعر، فإنه يصعب عليه أن يتجاوب مع الأوضاع السائدة في المجتمع، أو يخضع للموروث العام، فيرفض ذلك بطريقته الخاصة التي تعبر عن هويته المتفردة، فالشعور بالاغتراب داخل المجتمع يؤدي إلى التمرد على القيم الاجتماعية، أو على العادات والتقاليد، والتمرد على كل قديم، أو على النظام السياسي، والتمرد على التخلف في فهم الدين، أو مهاجمة الفكر الديني نفسه متأثراً بالاستشراق أو غيره، وكل ذلك نتاج عجز الفرد عن الانسجام، مع الجو العام، الذي يحيط به، ويكتنفه.

(١) الاغتراب، ريتشارد شاخت، ترجمة كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة١٩٨٠م، ص٤١.

(٢) معجم مصطلحات الأدب، إنكليزي- فرنسي – عربي، تأليف مجدي وهبة، مكتبة لبنان، ١٩٧٤م، ص١١٥.

المبحث الأول: أبو إسحاق الغزي، والغربة في شعره

هو أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي الأشهبي، الغزي، وقيل: إبراهيم بن يحيى بن عثمان، شاعر مشهور، ولد بغزة من بلاد الشام سنة إحدى وأربعين وأربع مائة (٤٤١ه)، وفيها نشأ، وتلقى تعليمه الأولي، ثم انتقل بسبب الظروف التي كانت تحيط ببلده في ذلك الوقت، والاضطراب السياسي، والحالة المعيشية الصعبة، إضافة إلى طموحه، كل ذلك دفعه على مغادرة مسقط رأسه إلى عسقلان، فدمشق، وترك وطنه الذي لم يره مرة أخرى بعد أن غادره، ذكره الحافظ ابن عساكر فقال: "دخل دمشق، وسمع بها من الفقيه نصر المقدسي، سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، ورحل إلى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة، ومدح ورثى غير واحد من المدرسين بها وغيرهم، ثم رحل إلى خراسان وامتدح بها جماعة من رؤسائها، وانتشر شعره هناك"(١)، وذكر له عدة مقاطيع من الشعر.

ثم تنقل بين دمشق وحلب، ثم انتقل إلى العراق وإلى خراسان وأصفهان وكرمان وفارس وخوزستان، ويظهر من سيرته التي رواها الإخباريون أنه كان رجل أسفار، يضرب في الأقطار، ويجوب الديار في طلب الرزق، حين كانت البلدان متباعدة، والسفر شاقاً ومجهداً لبعد المسافات، وضعف الراحلة أو انعدامها، وبطء السير، وقلة الزاد، وخوف الطريق، ولولا الاضطرار لما اغترب، وتحمَّل المشاق في ذلك، قال صاحب الخريدة: إنه جاب البلاد و(تغرب)، وأكثر النقل والحركات، وتغلغل في أقطار خراسان وكرمان، ولقي الناس، وامتدحه، وأطال في ذكره، وقال ابن خلكان: "تنقل في البلدان ومدح الأعيان وهجا جماعة، ودور في الجبال وخراسان، وسمع الحديث بدمشق من الفقيه نصر المقدسي سنة إحدى وثمانين وأربع مائة، ورحل إلى بغداذ وأقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة، ومدح ورثى بها غير واحد من المدرسين بها وغيرهم، ثم رحل إلى خراسان وامتدح رؤساءها وانتشر شعره هناك(٢)، وقد كانت له مكانة سامقة، وذكر حسن، فقد وصفه ابن خلكان بالشاعر المشهور المحسن(٣)، وقال عنه العماد الأصفهاني: "وطال عمره، وراج سعر شعره، وماج بحر فكره، وأتى بكل معنى مخترع، ونظم

(١) تاريخ دمشق، لابن عساكر، ٥١/٧-٥٢.

(٢) للاستزادة من سيرته انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين الذهبي، تحقيق د.بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م،٣٩٣/١١، وخريدة القصر وجريدة العصر، للعماد الأصفهاني الكاتب، قسم شعراء الشام، تحقيق د. شكري فيصل، المطبعة الهاشمية بدمشق، ١٣٧٥ه،١/١-٧٥، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ٦٠/١، وتاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م، ٥١/٧-٥٤، والوافي بالوفيات، خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٣٥/٦، والأعلام خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة، ٥٠/١.

(٣) وفيات الأعيان، ٥٨/١.

مبتدع، وحكمة محكمة النسج، وفقرة واضحة النهج، وكلام أحلى من منطق الحسناء، وأعلى من منطقة الجوزاء، فكم له من قصائد كالفرائد، وقلائد كعقود الخرائد، وغرر حسان، ودرر وجمان"[(١)]، وقال عنه خليل بن أيبك الصفدي: "الشَّاعِر المشهور أحد فضلاء الدهر، ومَن سار ذكره بالشعر الجيد"[(٢)]، وأثنى عليه كذلك الحافظ ابن عساكر، ووصفه بأنه شاعر محسن[(٣)]، توفي رحمه الله بعد طول ترحال واغتراب، وعمر طويل، تجاوز الثمانين عاماً، توفي غريباً، وذلك بعد أن خرج من مرو إلى بلخ فمات في الطريق، وحمل إلى بلْخ فدفن بها، وذلك سنة أربع وعشرين وخمس مائة (٥٢٤هـ)[(٤)].

ولما توفي الغزي رحمه الله تعالى قال أبو علي ابن طباطبا يرثيه:

همومي في فراق إمام غزه همومٍ كثيرٍ لفراق عزه[(٥)]

الغربة في شعره:

الغربة ظاهرة موروثة، وجدت حيث وجد الإنسان، لكن ملامحها تجلت، واتضحت لدى الشعراء؛ لأنهم يملكون حساً مرهفاً، وخيالاً واسعاً، فهم يجنحون للعيش في عالمٍ مثالي؛ مما يوجد لهم اصطداماً مستمراً مع المجتمع والسلطة، فهم يرفضون الواقع الذي يعيشونه، ويتنكرون للتقاليد الاجتماعية المحيطة بهم، مما يحملهم على الاحتجاج على الأنظمة التي يعيشون في ظلها، فيتناقض الشاعر مع مجتمعه، ويثور على الأعراف والعادات، والتقاليد السائدة في القبيلة، ويستنكر القيود الاجتماعية والسياسية، وأحياناً يفر من الواقع الذي يعيش فيه، " فيتخذ من الخمر ملجأ له، يخلق لنفسه به عالماً خاصاً، ومن الشعراء من يستبدل الخمر واللهو بالهيام، وجنون الحب، وبالتالي الخروج على تقاليد القبيلة، كما حدث لأبي الفضل العباس بن الأحنف، ولمجنون بني عامر، ومن الأبعاد التي عبر بها بعض الشعراء عن تمرده الزّهد، واحتقار كل شيء في الحياة، وما دام الموت هو النهاية فإنه لا جدوى من الصراع فيها، ومن انشغل بها فلا عقل له"[(٦)]، وقد كان الشعراء كثيراً ما يذكرون في العصور السابقة حرفة الأدب، ويرفعون أصواتهم بالشكوى، ويتذمرون من سوء الحال، وبؤس العيش، وقلة ذات اليد، وكساد السوق، ويعدون أنفسهم محارفين محدودين، وقد تحدث ابن رشيق عن التكسب بالشعر، حديثاً

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٣/١.
(٢) الوافي بالوفيات، ٣٥/٦.
(٣) تاريخ دمشق، لابن عساكر، ٥١/٧.
(٤) وفيات الأعيان، ٦٠/١.
(٥) الوافي بالوفيات، ٥١/٦.
(٦) شعر ابن لنكك البصري، تحقيق د.زهير غازي زاهد، الطبعة الأولى،كولونيا، ألمانيا، ٢٠٠٥م، ص٦-٨.

يتصل بعصره، ولكن الظاهرة في تينك القرنين تجعل للكساد الذي يشكوه الشعراء معنى فنياً، إلى جانب المعنى الاجتماعي، وليس ذلك تقليلاً من أثر المعنى الثاني، فإنه يتصل بصميم الأوضاع الاقتصادية، التي واجهها الشعراء على مر الزمن، ولكن يبدو أن وراء هذا العامل عاملاً آخر، هو ضعف أثر الشعر في النفوس، وشعور الشاعر بالهزيمة، إذا قاس نفسه إلى غيره من المثقفين، وهذا الإعلان بالكساد نسمعه من أقصى المشرق، إلى أقصى المغرب، وعنه عبر أبو إسحاق الغزي بقوله:

قالوا: هجرتَ الشعر قلتُ: ضرورةً باب الدواعي والبواعث مُغْلَقُ

خَلَتِ البلاد فلا كريمٌ يُرتَجى منه النوال ولا مليح يُعْشَق

ومن العجائب أنه لا يُشترى ويُخان فيه مع الكساد ويُسرق[1]

الغربة هي الضرب في الأرض والابتعاد عن الأهل والوطن، وشعور المرء بابتعاده عن مكان نشأته، وملاعب صباه، وفراقه لذويه ومحبيه، الذين يرتبط معهم اجتماعياً، وينجذب إليهم عاطفياً، ويأنس بهم نفسياً[2]، وأنماط الغربة التي ستذكر في هذا البحث هي: الغربة المكانية، والغربة الاجتماعية، والغربة الزمانية.

المبحث الثاني: الغربة المكانية:

تكمن أهمية الحاضن الجغرافي للإنسان في وجود العامل النفسي الذي يجمع بينهما فالشاعر مرتبط ببلده من خلال النشأة والذاكرة، وهو الحاضن الطبيعي والاجتماعي والنفسي أيضاً، فالإنسان يشكل ببيئته، ويتأثر بها، ويكملها، وهي كذلك "مكملة له في نشأته وتطوره، ومن هنا كان للإقليم الذي يعيش فيه الإنسان وينشأ أثر كبير في أخلاقه، وتكوينه النفسي، واستعداده الفكري، وإبداعه العقلي"[3]، وحين تستدعي ذكرى المكان جملة من المعاني، كالعلاقات الأسرية، والاجتماعية، والشعائر الدينية، والحالة السياسية والاقتصادية فإن الغربة عن المكان تكون مثقلة بأبعاد تلك المعاني كلها مجتمعه أو متفرقة.

(١) ديوان الغزي، ص١٢٣، وانظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د.إحسان عباس، الطبعة العربية الأولى، ٢٠٠١م، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، ص٥٠٣.

(٢) انظر الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، ماهر حسن فهمي، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٧.

(٣) الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، محمد إبراهيم حور، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ص١٢.

أولاً: فراق الأوطان:

حب الديار ظاهره إنسانية مشتركة، والوطن عزيز على أهله، وإن كان صحراء مجدبة، لا يكاد يجد المرء فيها ظلاً ولا مأوى، ولا يخلو تراث أمة من الأمم من رصد هذه الظاهرة أو تصويرها أو توثيقها، غير أن حب الأوطان عند العرب أكثر وضوحاً، إذ وثق الشعر هذه الظاهرة منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا الحديث، والحنين إلى الأوطان من مظاهر الغربة، ويتجلى ذلك عند العرب؛ لأنهم أمة شاعرة تؤثر فيها الكلمة، ويخلد في ذهنها المكان الذي احتواها، والبيئة التي أحاطت بها، وقد "قيل لبعض الأعراب: ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوس مع الإخوان. قيل: فما الذِّلّة؟ قال: التنقُّل في البلدان، والتنحِّي عن الأوطان"، وكثير من الذين عانوا الغربة عن الوطن كانوا يوصون بأن يدفنوا في أرض أوطانهم، فهم إن لم يستطيعوا أن يعودوا إليه أحياء فلتعد أجسادهم، وقد قيل: "إن الغريب كغرس ذابل ماتت أرضه، ونفد شربه"(١)، إن حب الأوطان، والحنين إليه مما أفاض فيه الشعراء والأدباء، وألفت فيه الكتب الزاخرة بكل غريبة وعجيبة ومطربة...

والمراد هنا بالغربة المكانية هو الإحساس الذي يصوره الشاعر، حينما ينتقل من مكان إلى مكان؛ ليحقق رغباته، فيصف إحساسه بالغربة، ويذكر تلك البلدان، أو المدن التي يمم إليها وجهته، وحينما يصل إلى حيث يمم يصاب بخيبة أمل كبيرة؛ إذ يفاجأ بأنه عاجز عن تحقيق طموحاته، فالغربة والاغتراب يتجسدان في الشعور بالوحدة والتفرد، والخوف والوحشة، والحاجة إلى الاستقرار، والأمن الدائم، والشعور بالغدر والخيانة، فضلاً عن أنها تضج بالشوق، والحنين إلى الموطن الأول.

لقد حمل إبراهيم بن عثمان الغزي عصا الترحال مبكراً، وغادر مسقط رأسه وهو في ريعان الشباب، وطوف الآفاق؛ طلباً لكسب العيش، متجهاً إلى عسقلان، وهي بلدة في فلسطين، في أول رحلة له من بلدته، غزة هاشم، يقول من مطلع قصيدة:

أينَ دعْواكَ والغَواني عَواني والمَغَاني واللّفظُ حَازّ المعاني

ونَواك الشَّطون إزمَاعُك الرِّحلةَ مِن غزَّة إلى عَسْقلان(٢)

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، يوسف بن عبد البر القرطبي، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢/٢٢٥.
(٢) ديوان الغزي، ص٣٧٠.

لقد كان شعور الغزي بالغربة مبكراً جداً، فنجده يخاطب نفسه مذكراً، ومتسائلاً، وملمحاً إلى المشقة التي لقيها، والفقد الذي شعر به، والمدى قريب، فكيف إذا بعدت المسافات، وطال النأي[١]، فهذا النوى قد امتدت حباله، بعدما عزم على الرحلة من غزة إلى عسقلان، ثم يقول:

يازمان الصبا معادك أمر ضاق عن مثله نطاق الأماني

قد تورطت من تعسف شوقي حيث لايعرف السُّلُوُّ مكاني[٢]

وينادي زمان اللهو، والصبا، الذي يستحيل أن يعود، ولا حتى في نطاق الأماني، فقلبه يعتلج بالأشواق، ولما تطل الشقة بعد، فكيف إذا ترامت به أيدي النوى[٣]؟

كما أنه لا يمكنه السلو عن ذلك، فليس له مكان يطمئن فيه، أو يستقر إليه، والشوق يحدث للنازح الشجن، ثم يقول:

بعدما كنت آمن السرب دهراً والأمانيُّ كلها في أمانِ[٤]

فبعد أن كان آمناً مطمئناً، وقطاف مناه دانية قريبة، إذا به يعلق في شرك الغربة المرير، يقال: "فلانٌ آمِن في سِرْبِهِ بالكسر: أي في نفسه، وفلان واسع السِّرْبِ: أي رَخِيُّ البَالِ، ويُروى بالفَتح، وهو المسْلك والطَّريق، يقال: خَلِّ سَرْبَهُ: أي طَرِيقَه"[٥]، وإذا كانت الحاجة والخصاصة أكبر دواعي الاغتراب، فالقلة ذلة، والبقاء في بيت العدم، كالمكث في قعر قبر، وهذا ما يحمل القارئ على تفهم سبب اغتراب الشاعر رحمه الله، وهو يركب هذه المعاني التي تفيض بها نفسه، ويصوغها عقله، فتحمله المعاني على بساطها، لتسوقه رياح الغربة العاصفة، غير مبالية به، فتطوح به في أودية سحيقة، من المعاناة والرهق، وتنقله من سهل إلى حزن، ومن ضنك إلى ضيق، ومن قِطر إلى قِطر، ومن بلاد إلى أخرى، ومن دجلة والفرات، إلى سيحون وجيحون، وكل هذا الجهد الجهيد، والتهجير والسرى، وقطع المفاوز والفيافي، ونزول الأودية، وصعود الجبال والروابي، ينشد فيه الاستقرار والعيش الهنيء، فلقد كان يجوب الآفاق، عله أن يجد مورد رزق

(١) وقد قيل في الأمثال: هذا ولما تردِي تهامة، ويبلغ الحزام الطبيين، وقال المتنبي:
أرى أسفي وما سرنا شديداً فكيفَ إذا غدا السَّيرُ ابتراكا؟
وهذا الشوقُ قَبلَ البينِ سَيفٌ فها أنا ما ضَرِبتُ وقَد أحاكا
والابتراك: سرعة السير، وقد أحاكا: أي أثر.
(٢) ديوان الغزي، ص٣٧٠.
(٣) أو كما قال الفرزدق: إذا ما تَرامت بِامرئٍ مُشرِفاتُها إلى قَعرِها لَم يَدرِ مِن أينَ يَرتَقي
(٤) ديوان الغزي، ص٣٧٠.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات ابن الأثير، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي– محمود محمد الطناحي، ٣٥٦/٢.

غدقاً، أو مطمئنا من الأرض، أو سكناً يأوي إليه بقية عمره، يقول ذاكراً تعدد رحلاتـــه، وكثرة تنقلاته:

وكم جبـــت مـــن مـــرت إليـــك ومهمـــه تـــضل النعـــامى فـــي ملاعبـــه الـــبطح(١)

وهذا البيت من قصيدة أنشدها بين يدي أبي الفتح ابن عماد الدين سعيد بن طاهر، قاضي القضاة بفارس، وأين فارس من غزة المنى؟ يقول منها:

عجبـــت لعـــين أروت الـــسفح بالـــسفح وقلت لها: شـــحي! فقـــال الجـــوى: ســـحي!

ومـــن ليلـــةٍ دهمـــاء فـــازت بغـــرةٍ من البدر لم ترزق حجـــولاً مـــن الـــصبح(٢)

فهو يبدي عجبه، من عين لا يقف هملانها، ويطالبها بأن تتحمل، وتتجمل، وتكـف عـن سكب الدموع، غير أن الهوى الباطن، والحرقة الشديدة، وشدة الوجد على ما فقده، ونـأى عنه، لا يتركه في شأنه، بل يطالبه أن يسفح الدمع، ويسكبه، ويعجب أيـضاً مـن ليلـة مظلمة، لم ترزق بياضاً، حتى فازت بغرة البدر المضيء، ثم يشكو من صروف الـدهر، وقسوة الزمان، حيث يشعر أنه يناصبه العداء، بل أنه يحاربه أيضاً، وأن كرم الممـدوح سيحمل هذا الدهر على مصالحته، ومهادنته، يقول:

سَيـــضطرُ دَهـــرٌ حـــاربتني صُـــروفُه ندى عُمـــدة الـــدِّين الهُمـــامِ إلـــى صُـــلحي(٣)

لقد كان بلاد الشام عامة تعاني ظروفاً سياسية، واجتماعية قاسية، فحمـلات الـصليبيين تتوافد على بلاد الإسلام، والمسلمون في تشرذم وضعف، وهذا مـن أسـباب هجرتـه، وغربته عن دياره، ومن موانع عودته، وقد أكد ذلك بقوله:

والـــشَّامُ أقْـــوى وطَالَمـــا عَهِـــدت لفـــارسِ الـــنَّظم حَلْبـــةَ حَلـــبُ

فكيـــفَ يـــشتدُ صُـــلبُ قَاصِـــدِها مـــا دامَ للْكُفْـــرِ حَولهـــا صُـــلبُ(٤)

وفي أبيات أخرى يستعطف أميراً، ويصف حال نفسه، وقد أرهقته الغربة، ويتوجع مـن النوائب، والمصائب التي تصيب من لاذنب له، حتى أصابت سويداء قلبـه، ومـن هـذه النوائب الشيخوخة، والفقر في غربة موجعة، مع قريحة كليلة، لاتقطع، وزنـد لا يـشعل نارا، يقول:

(١) ديوان الغزي، ص٦٠٧.
(٢) المصدر نفسه، ص٦٠٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٦٠٦ .
(٤) المصدر نفسه، ص ٤١٧ .

عَـــرِّج عَلَـــيّ فَـــإنني مُتمـــسِّك بُعُـــرى الرَّجـــاءِ تمَـــسّكَ المسْتَـــشعرِ

مُسْتَـــشرفٌ بحَـــوادثٍ أصْـــمَيْنَني بنَوائـــبٍ يأخُـــذنَ بـــالنُّطفِ الْبَـــرِي

شَـــيْخُوخةٌ وخَـــصَاصَةٌ فـــي غُرْبَـــةٍ وقَرِيحـــةٌ تنبـــوُ وزَنْـــدٌ لا يَـــرِي[1]

لقد حولت الغربة مسار حياة الغزي، وحرفت مجرى نهر حياته، فسلك طريق الاضطرار، وقطع مفاوز لم يكن ليقطعها، وولج مضائق لم يكن له أن يلجها، وتحمل في ذلك ما لايمكن احتماله، لولا الحاجة والاضطرار، وتنقل من بلد إلى بلد، في رحلة طويلة، ابتدأت من غزة، فعسقلان، مروراً بدمشق، فحلب الشهباء، فبغداد دار السلام، فخراسان، فشيراز، فسمرقند، فترمذ، وطوف بلاداً كثيرة، حتى بلغ أقصى بلاد الشرق، وامتدح فيها بعض رؤساء أذربيجان[2]، وكم بين دياره، وما بلغه من بلاد المشرق؟ يقول:

ضـــاقت علـــي مـــواردي ومـــصادري والأرض حـــولي رحبـــة الأكنـــاف

فوقفـــت بـــين النائبـــات كـــأنني في عـــصبة وقفـــوا علـــى الأعـــراف

لا جنـــة دخلـــوا ولا نـــاراً صـــلوا فهـــم علـــى الآمـــال والأخـــواف[3]

لقد كانت غربة الغزي مضاعفة، حيث كان في بلاد ما وراء النهرين، غريب الوجه واليد واللسان، والغربة في بلاد العرب أخف على العربي من الغربة في بلاد العجم، والغريب يشتاق بلاده التي نيطت عليه فيها التمائم، لكن الغزي كان يشتاق لبلاد العرب شوقاً يجد منه التعب والنصب، وخاصة تلك التي عاش فيها، بعد أن غادر غزة، ويحن إلى أصحابه الذي لم يلق أمثالهم، ويشكو الزمان الذي فرق شمله، وأوهن جلده، يقول:

هـــوى يـــستلذ كحـــك الجـــرب وشـــوق يـــصيبك منـــه النـــصب

ودهـــــر تُمـــــزق أحـــــرارَه نوائبـــــه بنيـــــوب النـــــوب

(١) ديوان الغزي، ص ٦١٤.

(٢) "وحدّ أذربيجان من برذعة مشرقاً إلى أرزنجان مغرباً، ويتّصل حدّها من جهة الشمال ببلاد الديلم، والجيل، والطّرم، وهو إقليم واسع، ومن مشهور مدائنها: تبريز، وهي اليوم قصبتها وأكبر مدنها، وكانت قصبتها قديماً المراغة، ومن مدنها خويّ، وسلماس، وأرمية، وأردبيل، ومرند، وغير ذلك، وهو صقع جليل، ومملكة عظيمة، الغالب عليها الجبال، وفيه قلاع كثيرة، وخيرات واسعة، وفواكه جمة، ما رأيت ناحية أكثر بساتين منها، ولا أغزر مياها وعيونا، لا يحتاج السائر بنواحيها إلى حمل إناء للماء؛ لأن المياه جارية تحت أقدامه أين توجه، وهو ماء بارد عذب صحيح، وأهلها صباح الوجوه حمرها، رقاق البشرة، ولهم لغة يقال لها: الأذرية، لا يفهمها غيرهم، وفي أهلها لين وحسن معاملة، إلا أن البخل يغلب على طباعهم، وهي بلاد فتنة وحروب، ما خلت قط منها، فلذلك أكثر مدنها خراب، وقراها يباب". انظر معجم البلدان، ١٥٦/١.

(٣) ديوان الغزي، ص ٤٣٥.

بـــلا ســـبب يظفـــر المـــرء فيـــه بمـــا لـــيس يبلغـــه بالـــسبب

تـــذكرت مربعنـــا فـــي دمـــشق ومـــصطافنا بحـــوالي حلـــب

وصـــحبة قـــوم إذا استنهـــضوا فـضرب الـسيوف لـديهم ضـرب[1]

ومع كل هذا التطواف، والضرب في الأرض إلا أن طيف بلده لا يفارق خياله، فمع أنـه في بغداد، بين يدي الخليفة العباسي، المستظهر بالله فإنه يـستحث الـشوق المقـصوص الجناح إلى دياره التي غادرها، وبالرغم من شدة تطلعه، وتلهفه للعـودة إلا أنـه يراهـا أمنيات مستحيلة التحقق، إلا إنْ تحقق للشيخ الرجوع إلى صباه، وفتوته وشبابه، يقول:

لا يخـل مرجـان دمـع مـن عقيـق دم شـوق بـلا عبـرة سـاق بـلا قـدم

ولا تمـنَّ دنـو الـدار نازحـةً منـى الـشبيبة بعـد الـشيب والهـرم

مـا كـان أنـضر أيـامي بـذي سـلم لو ناسبت فـي بقـاء خـضرة الـسلم[2]

ومع أنه غادر غزة في ريعان الشباب إلا أنها كانت ذكراه وهجيـراه، وحـديث نفـسه، وكلما تجدد ذكر غزة تجدد كربه، واشتد شوقه لملاعب الصبا، ومراتع اللهـو، ومغـاني الشباب، ومساكن الأهل والأحباب والأصحاب، يقول:

وجـدد كربـي ذكـر غـزة هاشـم وما جد بي من شـوق تلـك الملاعـب

مقـام هـوى قلبـي ومـسقط هـامتي ومعنـى صـباباتي ومغنـى أقـاربي

ذكـرت بـذاك الربـع عيـشاً طويتـه علـى غـرة والعـيش كـسوة سـالب

وندمـة قـوم لا ندامـة عنـدهم من العمر والـدنيا علـى فـوت ذاهـب

تحلـى صـدور الكتـب حتـى تخالهـا إذا أسـهبوا فيهـا صـدور الكتائـب

لـئن فلقـوا هـام الـصناديد فـي الـوغى فقد فلَّقوا فـي المحـل هـام المـساغب

ومـن لـي بهـم إن أيـسروا فـدعوتهم لتخليص شـلوي مـن نيـوب النوائـب

(١) المصدر نفسه، ص ٦٤٨.

(٢) ديوان الغزي، ص ٨١٤.

عسى بين أحشاء الليالي عجيبة حبالى الليالي أمهات العجائب

إذا شاء حل العقدة الله ناطها بمسعى ميامين الخطا والنقائب[١]

ويقول:

كم قد عهدت بأرض غزة هاشم من ربع بادية فصيح أخرس[٢]

ويتوجع على غزة ويتمنى أيامه ولياليه التي لن تعود، وهو إذ ذاك في بلاد خراسان، يقول:

أين أيامنا بغزة والعي ش نضير واللهو رحب المجال

ومزايا حسن البوادي بوادٍ بهلال في حلية من هلال[٣]

فهو يعد تمني قرب الديار النازحة من السفه، فيد الزمان تقصر عن تحقيق كثير من الأمنيات يقول:

تأميل عود عشيات الحمى سفه كم منية قصرت عنها يد الزمن[٤]

ثانياً: الوقوف على الأطلال:

لقد اعتاد الشاعر، وخاصة الجاهلي أن يقف على أطلال محبوبته، وديار أحبته، في بدايات قصيدته، ويستوقف؛ باكياً الطلل، مذهولاً من تقلب الأيام، وتحولها، حتى إنه لم يبق من ذكرى الحبيب سوى الأطلال، فكأنما هو تجسيد حي للمكان، الذي يحن إليه الشاعر، ولدلالته النفسية التي أثقلت كاهله، وأقلقت نفسه، من هجر من قبل الحبيبة، أو بعد عن القبيلة، حتى شعر بوجع الغربة، فكان البكاء على الأطلال تعبيراً عن الوحدة والاغتراب، وبكاء الأطلال "ليس عاطفةً خاصة، ولا تجربةً وجدانية ذاتية، بل لحظة حزينة أملاها على الشاعر شعور الجماعة التي ينتمي إليها بالحرمان من الوطن المكاني، والحنين إلى الاستقرار والمقام الثابت الذي يستطيع فيه أن يقيم بيتاً يخلد فيه ذكرياته، ويسترجع ملاعب صباه"[٥]، فالوقوف على الطلل في الشعر العربي يشكل ظاهرة عميقة لها أبعاد مختلفة، وتأثيرات متفاوتة، فهي نابعة من صميم البيئة

(١) المصدر نفسه، ص ٣٩٣-٣٩٤.
(٢) ديوان الغزي، ص ٧٣٤.
(٣) المصدر نفسه، ص ٦٢٢.
(٤) المصدر نفسه، ص ٥٣٥.
(٥) الطبيعة في الشعر الجاهلي، القيسي، نوري حمودي، دار الإرشاد والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص٢٥٣.

الصحراوية، "فموقف الشاعر أمام الطلل موقف إنساني، وتجربة تمثل الصراع الذي يحدث في نفوسنا جميعاً عند كل حدث جديد في الحياة، وعندما يقف حائراً بين ماضيه العذب، وبين مستقبله وما فيه من حياة مجهولة؛ فإن ذلك يعبر عن موقف الإنسان الواعي بالحياة"[1]، وكثير من المقدمات الطللية كانت تمثل قناعًا يسقط الشاعر عليها مشاعره وأحاسيسه، ويتخذ منها ستاراً لموضوعاته ورؤيته الخاصة، فالغربة المكانية والزمانية مؤثر رئيس في حياة الشاعر، ولذا كان الوقوف على الأطلال، والرسوم وسؤالها من أبي إسحاق الغزي، كما وقف الشاعر الجاهلي، وتبيين الأسى لترحل المحبوبة، والبكاء والحسرة على الفراق، يقول:

لنا بك ميدان التفكر في لبنى وما الحب إلا ما على فكرة يبنى

وقفت ودون الظعن تصحيف ظائه على وله ينسى به الطائر الوكنا

وفي الهودج المحفوف بالبيض والقنا كنانية بالبدر عن وجهها يكنى

شكا ربعها ما تشتكي من فراقها فأصبح يضنى في هواها كما نضنى

خليلي من ذهل بن شيبان سلما على أثلات الجزع من ذلك المغنى

ولا تعجبا أن تنبت العز تربه إذا كان أطراف الرماح لها مزنا[2]

ويقول واصفاً الطلل وصفاً تصويرياً، يبدو الطلل المقفر في صورة تدعو للشفقة والرثاء، فهو لم يدرس لمرور الأيام، وتعاقب الأعوام، ولكن لتكالب النوائب، وصنوف المصائب والنكبات:

بين الصريم فملتقى الأحقاف طلل تأبد فيه رسم عاف

وقفت به النكبات وقفة حاقد ومشى عليه المحل مشية حاف

فاحبس بها أنضاء شوقك ظلعاً واذكر هواك فما جواك بخاف

أو لا فكفكف من غروب صبابة جنحت لوصل جوانح وشغاف

ما كنت قبل البين إلا شاكياً تصف النصيف بقلة الإنصاف

(١) قضايا النقد الأدبي والبلاغة، العشماوي، محمد زكي، دار الكتاب العربي للطباعة بالإسكندرية، ص ١٤٧.

(٢) ديوان الغزي، ص ٥٠٨.

وتبيت ذا عين مزحزحة الكرى بصدود كل مولول مصداف[1]

لقد أصبحت هذه الديار خرساً لما ترحل عنها أهلوها، وهجرها قاطنوها، ومن كان ذا فهم سيعرف بما أجابته الطلول، يقول :

قد أجابتك لو فهمت الطلول ساغ في الشوق ما تمج العقول

منطق الدار من ترحل عنها طالما أخرس الديار الرحيل

لاعدت كاسمها النواحي فحد منصل البين وخدها والذميل

فلك أطلع الكواكب صبحاً وطلوع النجوم صباً أفول[2]

إن تلك الديار كانت ناطقة، لكن الذي قطع ألسنتها، وأصابها بالخرس هو سكين الرحيل، يقول:

أجابنا بالمغاني شاخص الطلل والصمت أحسن من قول بلا عمل

قد كان ذا لسن لكنها قطعت بحيث لا مدية أمضى من الإبل[3]

إن خلو الديار وبقاء الآثار يثير الغرام، ويهيج الأشواق لمن ترحلوا، وغابة شخوصهم، وكم نمخض الآمال فتنطوي الأعمار لقصر الليالي وتسارع الأيام، فلماذا الاحتيال الشديد، والدهر يفجعك ويوجعك، ولا يدرك الثأر منه لا بالسيوف ولا بالرماح، وجراحه هدر، لا عوض عنها، ولا ثمن لها، والإنسان تتعاقب عليه الحوادث الحلوة والمرة، وهكذا هي الحياة، يقول:

أقفرت من أهيلهن الديار فاستثارت من غرامك الآثار

كلما سهد العيون البواكي شوقهم صورتهم الأفكار

كلنا نمخض الطوال من الآ مال والزبدة الليالي القصار

ما احتيالك النهيك والدهر لا يد رك بالبيض والقنا منه ثأر

كل جرح من الليالي جبار تلك أيد سيوفها الأقدار

(١) ديوان الغزي، ص ٤٣٣-٤٣٤.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٠٤.
(٣) ديوان الغزي، ص ٥١٤.

فـــي طريـــق الحـــوادث الـــشري والأرْ ي وللـــــدهر هفـــــوة واعتـــــذار[1]

لا تختلف هذه المقدمة الطللية كثيراً عن مقدمات الشعراء الجاهليين، بل والمخـضرمين، فهي تبدأ بتذكر الرباع والدور والمصطاف، ويبكي جدتها التي أبلتهـا الأيـام، وطـول الزمان داء لا شفاء له، ويذكر ما حل بها من التحول والتبدل، ويذكر وقوفه يـسأل عـن محبوبته، ولكن السؤال دليل وفاء وقلة جفاء، فيا للعجب لهذا لزمان ما أعجلـه وأقـصره حيث تقضت أيامه وتصرمت لياليه، ثم تذكر سالف أيامه التي كان فيها أميراً أو كالأمير يرفل في برود الصبا، ويجذب الأنظار، وخاصة أنظار الكواعب الحسان، فكم عانى مـن الغربة التي امتلأت بها نفسه، وأثقلت فؤاده، وكم من الأشواق التي يفيض بها قلبه لهفـاً إلى تلك المرابع والأطلال؟ إنه يشعر حقاً بشدة وطأة الغربة عليه.

المبحث الثالث: الغربة الاجتماعية:

يعتبر الاغتراب الاجتماعي من أبرز أنواع الاغتراب التي عانى منهـا الـشعراء قـديماً وحديثاً، ذلك أن الشاعر إنسان مرهف الإحساس، دقيق الملاحظة، وهذا الإنـسان كـائن اجتماعي كغيره، والعناصر الاجتماعية تتداخل لتحمله على اتخاذ موقـف مـن الحيـاة، وتقوده إلى الاغتراب، فيشعر بإحساس الغربة في نفسه ضمن مجتمعه الذي يحـيط بـه، وفي كل مجتمع توجد عوامل اجتماعية تشكل وسيلة ضغط على بعض أفراده، وتـدفعهم إلى الانعزال النفسي والجسدي، والشعور بالاغتراب والغربة، وإن كانوا يخالطون الناس ويعيشون بينهم ومعهم، فمغادرة الأوطان تقود إلى اغتراب اجتمـاعي؛ لأن الإنـسان إذا غادر موطنه، فإنه يترحل عن مكونات ذلك الوطن جميعها، إلى مكونات مختلفة ضـمن المكان الجديد، فيحس بمشاعر الحزن والأسى على المكونات الاجتماعية التـي افتقـدها، وهذا يشعره بالغربة الاجتماعية.

الشعر في غالبه يعتبر تصويراً وحكاية لواقع المجتمع الذي يعيش فيـه الـشاعر؛ فمـن الشعراء من اقتصروا في شعرهم على المظاهر الاجتماعية، ومهم من تجاوز ذلك، ومـن هنا فإن من أكثر ما يؤثر في حياة الشاعر ما يتعلق بالجوانب الاجتماعية، فالشاعر دائـم التأمل، ما يجعل شعره مدونة تصف حياته وحياة من حوله وما حوله، فينقد الأمور التـي ينكرها، ويعيبها، كوصف المعاناة، والطبقية في المجتمعات، وحـالات الفقـر والبـؤس، والعادات المذمومة، والأخلاق الرديئة، وما يعانيه على المـستوى الشخـصي، كالملـل،

(١) المصدر نفسه، ص ٦٠٩.

والعجز، وفقد الأقربين، وهذه العوامل وغيرها يمكن أن تؤثر في وجود الاغتراب الاجتماعي، وكل ما يحيط بالشاعر من بيئة اجتماعية يمكنها أن تكون سبباً في ذلك، وقد ذكر أبو حيان التوحيدي أن "الصداقة، والعشرة، والمؤاخاة، والألفة، وما يلحق بها من الرعاية، والحفاظ، والوفاء، والمساعدة، والنصيحة، والبذل، والمواساة، والجود، والتكرم، مما قد ارتفع رسمه بين الناس، وعفا أثره عند العام والخاص"(١)، وهذا مما يتسبب بالغربة النفسية والاجتماعية.

لقد أضنته الغربة الاجتماعية، وأجهدته، ومل من ركوب المطايا للترحال، واستوطنت الغربة نفسه، وإن كان مقيماً لم يبرح، يقول هذا القول وهو في بغداد دار السلام، وعاصمة الإسلام، ولم تطوح به الغربة في بلاد العجم بعد، ويصفها بأنه سبب لصحة المزاج، لكنها تكدر صفاء العقل، حتى يحول الرأي الصحيح سقيماً، والناس بينهم جفاء وتقاطع ووحشة، فلا تجد من يرد السلام، إلا من يرتجي ثمناً، بل إن الصديق الحميم يقطع علاقته بصديقه، يقول:

إني مللت من المطية والدجى فوقعت في تعب المغذ مقيما

بغداد كانت بالهواء وبالهوى حسناً وقبحاً جنة وجحيما

دار يصح بها المزاج لطافةً وتغادر الرأي الصحيح سقيما

لا يرتجى رد السلام بها بلا ثمن ولا يصل الحميم حميما(٢)

لقد تكاثرت على الشاعر الآلام والأوجاع والأسقام، وليس شيئاً أشد عليه من رؤية تقديم الضعيف الجاهل، وتأخير القوي الكريم، فياله من زمن عجيب يرفع الجاهلين الذين يحبون الكذب، إلا من الشعر فقط، والشعر أعذبه أكذبه، وتزداد عنده الحيرة، ويصعب عليه الصبر، في معايشتهم، فكأنه يجاذب روحه أن تخرج من جسده مما يرى ويبصر من التناقضات الموجعة، يقول:

حسبي من السقم أن أرى زمني يكسر نبعا ويقتني غربا

ويرفع الجاهلين ما كرهوا إلا من الشعر وحده الكذبا

(١) الصداقة والصديق، أبو حيان التوحيدي، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨ م، ص٢٩.
(٢) ديوان الغزي، ص ٥٤٥.

أصـــبحت مـــن حيرتـــي أجـــاذبهم أهـــداب روح تزيـــدني تعبـــا[1]

لقد كان الأذى الذي لحق به سبباً لشعوره بالغربة الاجتماعية، وذلك ما حملـه علـى ذم الناس، والارتحال عنهم، وتحمل مشاق الأسفار على الإقامة بينهم، فلم يعرفوا قـدره، ولا قدر شعره، فأخلاقهم مرذولة، وأيديهم مقبوضة، وإن سخت كان المن والأذى، ولذا كـان في فراقهم العافية، يقول:

طـول الإقامـة فـي العـراق دعـا إلـى تـزويج أبكـاري بمهـر العـون

أرض مـدحت بهـا أكـابر سـودوا بـيض القـصائد بـالخلال الجـون

عقـم الأكـف فـإن أنـالوا نـائلاً أبقـوا بـه وسـماً علـى العـرنين

فـضحوا بـأن مـدحوا ولـولا البكـر مـا عـرف الفحـول نقيـصة العنـين[2]

وهو يرى أن دنياه ليست هي غايته، ولا أكبر همه، فعسلها الماذي والحنظل سواء عنده، وفي قطعه للمفاوز لا يصحبه إلا رمحه الذي يثق به، ويحتمي به، ويثق أنـه سيـصحبه ذئب المفازة أيضاً، ويشعر أن طمأنينته في الابتعاد عن الناس، وأن يعيش عيشة الطريـد على ظهور الناجيات، فاهتزازه على ظهورهن سبب سكونه، فالطفل حين يبكي لا يسكن حتى يُهز مهده، كما أن ماء الوجه ليس كغيره من المياه، فحفظه في أن يحافظ عليه مـن أن يهراق، بينما طول ركود الماء يفسده، وقد تصرمت سبل المكارم واندرست آثارهـا، فالسلام على تلك المكارم المحمودة، وعلى تلك العهود المفقودة، يقول:

وكنـتُ امْـرءاً دُنيـاه دون اهتمامِـه فماذيّهـا فـي ذوقـه كَهَبيـدِها

متـى جئـتُ مومـاةً تفـرَّدتُ واثقـاً بـصُحبة عَـسّالَيْن: رمحـي وسـيْدِها

طُمـأْنينتي فـي أَن أَكـونَ مُـشَرَّداً طريـدَ خُطـوبٍ عـزّ مـأْوى طريـدها

سُـكونٌ بهـزّ الـيَعْمَلات اكتـسبتُه كمـا سَـكَّن الأَطفـالَ هـزُّ مُهودهـا

وَخَيْـرُ ميـاهِ الوجْـهِ مـا كـان راكـداً وإِنْ أَفْـسدَ الأَمـواهَ طـولُ رُكودهـا

(١) المصدر نفسه، ص ٤٠٩، والنبع: ما صلب من الخشب، وهو ينبت في الجبال، والغرب: نبت ضعيف.
(٢) ديوان الغزي، ص ٥٥٣.

المبحث الرابع: الغربة الزمانية:

يلحظ الناظر في تعريفات المعاجم اللغوية اتفاقها على أن مفهوم الغربة هو البعد عن الوطن طوعاً أو كرهاً، كذلك في كتب التراث يلحظ إضافة أخرى لمفهوم الغربة، حيث عد العرب فقد الأحباب والأصحاب، والفقر، والعيش مع من يختلف المرء معهم في الطباع غربة، وقد نسب الزمخشري لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهأنه قال: "فقد الأحبة غربة"(١)، وجاء "فقد الإخوان غربة" ثم قال: "قريب من هذا قول الشيخ أبي سليمان الخطّابي:

وإنـي غريبٌ بين بُسْتَ وأهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

وما غربةُ الإنسان في غُربة النوى ولكنها والله في عدم الشكلِ"(٢)

وفي هذا المعنى قال أبو محمد التيمي:

إذا كانت السّبعونُ سنَّك لم يكن لدائك إلا أن تموت طبيبُ

وإن امرأً قد سار سبعين حِجةً إلى منهل من ورده لقريبُ

إذا ما مضى القرنُ الذي كنتَ فيهم وخُلّفتَ في قرنٍ فأنت غريبُ(٣)

الاغتراب الزماني أن يحس الشاعر أنه في زمن ليس زمنه، فهو مغترب عن حاضره؛ لأنه يشعر بالعجز، أو الضعف، أو الوحدة، أو أنه لا يتقبل كثيراً من الأمور التي تقبلها أهيل زمانه، ورضوا بها، فيهرب من حاله وظروفه إلى زمنٍ غير الذي يعيش فيه، فالاغتراب الزماني له مظاهر تتمثل في السأم من الحياة، والشكوى من الهرم والشيخوخة، والإحساس بالضعف، وبكاء الأصحاب والأهلين، والتغني بالأطلال، وذم الزمان وأهله، وعدم الانتماء إليه، وإن عاش فيه، ويتجلى كذلك في تذكر سالف أيامه، وما مضى من شبابه، ولو كان رجوع ذلك مستحيلاً.

ولأبي حيان كلام معبر، وصف به أهل زمانه، وهو إنما يصف غربته، وغربة كل أديب، يقول: " وكانوا إذا تلاقوا تواصوا بالخير، وتناهوا عن الشر، وتنافسوا في اتخاذ الصنائع، وادخار البضائع أعني صنائع الشكر، وبضائع الأجر، فذهب هذا كله، وتاه أهله، وأصبح الدين وقد أخلق لبوسه، وأوحش مأنوسه، واقتلع مغروسه، وصار المنكر

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ٤٠٢/٢.

(٢) مجمع الأمثال، الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الإيمان، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ٤٦٠/٢.

(٣) البيان والتبيين، الجاحظ، عمرو بن بحر، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٦٤م، ٣/ ١٩٥.

معروفاً، والمعروف منكراً، وعاد كل شيء إلى كدره وخاثره، وفاسده وضائره، وحصل الأمر على أن يقال: فلانٌ خفيف الروح، وفلان حسن الوجه، وفلان ظريف الجملة، حلو الشمائل، ظاهر الكَيْس، قوي الدست في الشطرنج، حسن اللعب في النرد، جيدٌ في الاستخراج، مدبر للأموال، بذولٌ للجهد، معروفٌ بالاستقصاء، لا يغضي عن دانق، ولا يتغافل عن قيراط، إلى غير ذلك مما يأنف العالم من تكثيره، والكاتب من تسطيره، وهذه كلها كنايات عن الظلم والتجديف، والخساسة والجهل، وقلة الدين، وحب الفساد، وليس فيها شيءٌ مما قدمنا وصفه عن القوم الذين اجتهدوا أن يكونوا خلفاء الله على عباد الله، بالرأفة والرحمة، والاصطناع والعدل والمعروف"[1].

وسأتناول الغربة الزمانية من خلال ذم الشاعر للزمان وأهله، والوقوف على الأطلال، والشكوى من الشيخوخة والهرم.

أولاً: ذم الزمان وأهله:

لقد شكا الغزي من أشياء كثيرة أرهقت عمره، وأثقلت خطاه، فكان يتوجع من خطوب الزمان، ومصائب الأيام، ونيوب النوائب التي لا يستطيع حصرها، ولا عدها، يقول:

إني لأشكو خطوباً لا أعيّنها ليبرأ النّاسُ من لومي ومن عذلي

كالشّمع يبكي ولا يُدرى أعبرته من صحبة النّار أو من فرقة العسلِ[2]

ويقول معبراً عن كرهه مدح الناس، لكن ما شغله عن ذلك ذم الزمان وهجاؤه:

وإني لأكره مدح الورى ويشغلني عنه هجو الزمن[3]

إنه زمان جاهل لايضع الرجل المناسب في مكانه اللائق به، والجهل سبب كل مصائب الزمان، ومن وضعه الزمان في مكان لايستحقه يحتجب عن الناس بحجاب البخل والعزلة، ولا يجود إلا على سبيل الغلطة التي لا تتكرر، كبيضة العقر، يقول:

لم يُبْقِ لي زمني شيئاً أُسَرُّ به فالحمد للهِ لا فوزٌ ولا أسفُ

عري أكابده من ثوب محمدةٍ فالقوم في السّابغات اللُّبَّسُ الكشُفُ

لم يقنعوا بحجاب البخل فاحتجبوا كما غلا بعد سوء الكيلة الحَشفُ

(١) الإمتاع والمؤانسة، التوحيدي، أبوحيان علي بن محمد، صححه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين، الطبعة الأولى، لبنان، المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ، ١٧/١.

(٢) ديوان الغزي، ص ٤٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٩٣.

فإن جرى غلطٌ منهم بمكرُمةٍ فبيضةُ العُقْر لا يُرْجى لها خلف

أعجِبْ بهم قطُّ في الآراء ما اتّفقوا على صَوابٍ وفي التقصير ما اختلفوا[1]

إن بينه وبين صروف الأيام ثأراً، فهو يستعدي عليها من يعينه لينتصف منها، ويأخذ بثأره، يقولفي ذلك، قبل أن يصف فقر الممدوح، وضيق يده عن الممنوح:

إني لأَطمعُ في أنّي بلمحتهِ يوم النّدى من صروف الدهر أَنتصف

لا عيْبَ فيه سوى ظلم الزمان له والدهرُ معتذرٌ يوماً ومُقْتَرِفُ

وربّما حال دون الجود ضيقُ يدٍ والغيثُ أَحواله في الجود تختلف

قد فلَّ غَرْب القوافي جهلُ سامعها ونالت المهْرَ دون الكاعب النَّصَفُ

وضاعت الأَرض بالأَحرار واتصلت نوائبُ الدهر حتى مالها طرف[2]

ويشكو الزمان وأهله، ويذكر أيام الصبا، في قصيدة يقول منها:

مَتى ينجلي ليلُ الظُنون الكواذب ويَبْدو صباح الصدق من جَدّ قاضب

وتقضى بنيات الطريق بمدلج إلى سَنن من أمّها جد لاحب

حتى يقول:

هو الفقر من كَسْرِ الفَقار اشتقاقه نِقابٌ به تخفى وجوهُ المَناقب

عسى بين أحشاء الليالي عجيبةٌ حُبالى الليالي أُمهات العجائب

وبيدٍ تُبيد الصَّبر أحسنتُ طيَّها فأُبْتُ وما كانت تجود بآيب

تمنَّيتُ ماء السيف فيها من الصَّدى ومأكل ما سميت ماءً بذائب

ومنها:

يضيق الفضاءُ الرَّحب في عين خائفٍ ويعظُم قدْرُ الفَلْس في قلب خائب

(١) المصدر نفسه، ص ٤١٢.

(٢) ديوان الغزي، ص ٤١٣-٤١٤.

وتهتـــزُّ بـــالقطر البحـــارُ وإنهـــا لمـــستغنياتٌ عـــن نَـــوال الـــسحائب[1]

ثانياً: الشكوى من الشيخوخة والهرم:

الشكوى من الشيب والشيخوخة قديمة قدم البشر، فتعاقـب الـسنين والأعـوام، وتغيـر الأحوال، مما أفاض بذكره الشعراء، وعبر عنه ذووا البيان أبلغ تعبير، حيث أبانوا عـن توجعهم لما نالهم من وهن واعتراهم من تغير، فالقوة حالت ضـعفاً، والعزيمـة وهنـاً، والاستقامة انحناءً، والسواد بياضاً، والشاعر الغزي الذي أكلت الغربة شـبابه، والتهمـت سني عمره التهاماً يرى هذا الخراب الذي حل بساح شبابه، فقد رحل الصبا، وحل مكانه المشيب، فكأن الصبا عارية مستردة، يقول:

أفـــسد الـــشيب فيـــك رأي الغـــواني والصبا كـــان مـــن عـــواري الزمـــان[2]

إن مما يميز الشاعر– غالباً– أنه يمتلك ذاكرة قوية، إذ يستحضر تفاصـيل الأشـياء وإن دقت، ومن ثم يعيد توظيفها في تشكيل نتاجه الشعري، ومن خـلال الـذاكرة يـسترجع الإنسان ذكريات حياته عبر مراحل عمـره المختلفـة، الطفولـة، فالـصبا، فالـشباب، فالشيخوخة والهرم، وإن كانت "ذاكرة الطفولة تتفوق على مراحل ذاكرته الأخـرى، لمـا تحمله من صفاء ونقاء ذهني باق على مدى الأيام"[3]، إن مراحل العمر لها أثر بالغ فـي طبيعة التكوين الشعري لدى الشاعر، إذ تتشكل نظرته إلى مراحله العمرية من خلال مـا يرتبط بها من عناصر، ففي مرحلة الشباب يتحدث عن جوانب قوته، وفتوته، ووسـامته، أما مرحلة الشيخوخة فيكثر الحديث فيها عن الذكريات، وماضي الحياة، وهو بهذا يحاول الهروب عن واقع حياته التي يعيشها، كما يحاول أيضاً تجميل صورة ذلك الشيب الـذي بدأ يلوح في مفرق رأسه، وحين يبلغ الشاعر سن الشيخوخة، ويشتعل رأسه شـيباً، فـإن الإحساس بالاغتراب لا يفارقه، ولا يلقى من يخفف عنه همه وحزنه، خاصة أن الأشـياء التي تحيط به تظهر في مظهر مؤلم ومحزن، فليست كما كانت، أو كما اعتاد عليها، كما يحس أن السنَّ التي بلغها سبب لعجزه عن أداء مهماته اليومية التي إذا قام بها اسـتقامت أموره، واندفعت غربته.

(١) المصدر نفسه، ص ٣٩٠-٣٩٦.

(٢) ديوان الغزي، ص٣٧٠.

(٣) الشاعر وذاكرة الطفل في الشعر العربي، الربيحات، عمر أحمد رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، الأردن، ص٣.

إن الشاعر قوي الشعور، دقيق الملاحظة، مرهف الإحساس؛ لذا فإنه حين يصل إلى مرحلة الشيخوخة والهرم يصبح أكثر عرضة للإحساس بالاغتراب والوحدة من غيره من الناس.

وقد عبر الغزي رحمه الله عن شعوره بالغربة الشديدة حين وجه عتبه العام على كل شيء، وخاصة الدهر، والزمان الذي لا يصفو معه شيء، يقول:

خُذْ ما صفا لك فالحياةُ غُرورُ والدّهرُ يَعْدِل تارةً ويجور

لا تَعْتِبَنَّ على الزمان، فإنّه فَلَكٌ على قُطْبِ اللّجاجِ يدور

أَبداً يُوَلِّدُ ترحةً من فرحةٍ ويصبّ غماً منتهاه سرور

هو مُذْنبٍ وعُلاك من حسناته كالنار مُحْرِقةٌ ومنها النور

تعفو السّطور إذا تقادَمَ عَهْدُها والخلق في رِقّ الحياة سُطُور

كلٌّ يَفِرّ من الرَّدى ليفوتَهُ وله إلى ما فرّ منه مصير(١)

ثم يذكر أن ظل الشباب زائل، والسلامة فرصة وغنيمة، وزمانها سريع الانكشاف، متهيئ للطيران، وعيش الشباب نضر، لايكسر جناحه إلا المشيب، ثم يفقد الإنسان قيمته، بعد أن كان حضوره له قيمة وقدر، يصبح حاضراً كغائب، فبادر الشباب فهو أمير المراحل، وسيدها، والعوائق كثيرة، ولا بد للمصدور أن ينفث، ليس إلا، يقول:

وانظر لِنفسِكَ فالسلامة نُهْزَةٌ وزمانُها ضافي الجَناحِ يَطِيرُ

مرآةُ عَيْشِكَ بالشَّباب صَقيلةٌ وجَناحُ عُمرِكَ بالمشيبِ كسيرُ

والحاضرون بلا حُضُورِك غُيَّبٌ والغائبون إذا حضرتَ حُضورُ

بادرْ فإنّ الوقتَ سيفٌ قاطع والعمرُ جيشٌ والشبابُ أميرُ

وعوائقُ الأَيّامِ آيةُ بُخْلِها أَنْ يستريح بِنَفْثَةٍ مَصْدُورُ

خبِّر عن السَّبر البليغِ نقلته في المخبرين عن الزَّمانِ خبيرُ(٢)

(١) ديوان الغزي، ص ٣٤٦.

(٢) ديوان الغزي، ص٣٤٧.

لقد تكدر صفاء عيشه بعد أن فارقه الشباب، وحل وافد المشيب في ساحته، فكما يـنْقضُ البياضُ السوادَ فإن الشيب ينقض عرى الشباب، بل ينقض جمال الحياة وصفاء العـيش، يقول:

عـدمت صـفاء العـيش بالـشيب جملـة أظـن مـن الـشيب انقـضاء الـشوائب

وأصـبحت لا مـستمتعاً بخريـدة ولا باسـطاً للـراح راحـة شـارب

ولـو جـادت الـدنيا علـي ببلغـة تركـت فـضول الـدهر غيـر معاتـب

ولكنهـا الأيـام يلقـاك نقـضها وإبرامهـا بالنـادرات الغرائـب[1]

إن ثقلَ الخطا، وتعثرَ المشي له سبب لا يخطر إلا ببال شاعر لماح كـالغزي، فبعـد أن كانت أيام الصبا تركض تعثرت، ووقعت لأن الشيب وضع قدمه بـين قـدميها، وكـذلك العزم الذي هو من ثمر الوشيج، ويريد به القوة، ومن هز الرماح جنى الثمرة، يقول:

معـدوم أيـام الـصبا متـصور وحقيقـة الموجـود أن يتـصورا

الـشيب عشـر ركـض أيـام الـصبا كـان الـصبا بعـد الـزوال معثـرا

والعـزم مـن ثمـر الوشـيج ولـم يـزل يجنيـه مـن هـز الوشـيج الأسـمرا[2]

إن حقيقة البعد هو تباعد القلوب وافتراقها، واجتماع الأبـدان بمـن تحـب هـو الحـب الحقيقي، ولقد عشت السرور فأبليته، وكذلك الحزن سيبلى مثله، وتغيـر الـسبج، وهـو الكساء الأسود إلى البياض، ويريد بذلك لون شعره، فكل إلى بلى، فلا نفيس مقدم لديـه، والشيب قد غسل سود الشعر لكنه لا يغسل الأوساخ، يقول:

ومـا البعـد إلا افتـراق القلـوب ومـا الحـب إلا اجتمـاع البـدن

لبـستُ الـسّرورَ فأَبليتـه وبعـدَ الـسّرور سـيَبْلى الحَـزَنْ

وبُـدِّلْتُ مـن سَـبَجٍ لؤلـؤاً فأَبغـضتُ كـلَّ نفـيس الـثمن

سَـنا الـشيب رَحْـضٌ يفيـد البيـا ضَ علـى أَنـه لا يُزيـل الـدَّرن[3]

(١) المصدر نفسه، ص ٦٦٨.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٩٦.
(٣) ديوان الغزي، ص ٥٩٣.

يبكي الغزي صباه وشبابه، بعد أن دنت شمسه من الغروب، والصِّبا قد فل حده، أي ثلمه، والصبا من الصبوة، وهو الميل إلى الجهل والفتوة، لا بمعنى الفتاء، فدواعي النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات قد تضعضعت، وضعفت، والزمان الحاقد قد كشر عن أنيابه، وهي نوائبه ومصائبه، فإلى الله وحده المشكى والملتجأ، من دوار وصداع وأوجاع ألمت به جراء تصدع آماله، ومن عمر تصرمت أيامه، وما مضى منه لا يعود، ولا يعوض، ثم يقول: لو كان ثأري عند قوم أو حي من الناس لما عجزت عنه، ولو كان في مكان ناء عني، ولكن ثأري عند صرف الليالي ونوائب الأيام وأحداثه العظام، فإلى الله وحده أشكو، يقول:

أوان الصبا حتى إذا فُلّ غربه وجدَّ برغم الخرَّد العِينِ غاربُه

وعضَّ زمانٌ كاشرٌ عن نيوبِه ألدُّ وأنيابُ الزَّمان نوائبُه

إلى الله أشْكو من أُوَامٍ أسَفَّ بي على حَوضِ آمالٍ تشظّى نواصبُه

ومن عُمرٍ لو كان أمْراً مُعوَّضَاً إليَّ انقضَى باقِيْه أو عَاد ذاهبُه

ولو أنَّ ثَأْري عندَ حَيٍ ببلْقَعٍ سحيقٍ لما اعْتَاصَت عليّ مطالبُه

ولكنَّها عندَ اللّيالي وصِرفها وسيفُ الليالي ما تُفل مضاربُه[1]

(١) ديوان الغزي، ص ٦٤٥-٦٤٦.

الخاتمة:

أهم النتائج التي توصل إليه البحث:حاول هذا البحث استنطاق الغربة والاغتراب في شعر أبي إسحاق الغزي، وحياته من خلال الدراسة الموضوعية، ومن خلال تتبع أخباره في كتب التراث، واستقراء شعره من ديوانه، وكشف ما فيه من معان تشير صراحة أو تلميحاً إلى معاناة الغربة، وقد اعتمدت المنهج التحليلي الوصفي في دراسة الشعر، وقد كشف البحث جملة من النتائج تتلخص في التالي:أن الغربة من الظواهر الاجتماعية التي لا يمكن إغفالها، لاسيما إذا عاشها شاعر كبير له أثره وحضوره وتأثيره، ثم تناول البحث معنى الغربة اللغوي، ومفهومها، ومسبباتها، ثم حديثاً موجزاً عن سيرة أبي إسحاق الغزي، ثم تقديم أبرز تجليات الاغتراب في شعر أبي إسحاق الغزي، فالمادة الشعرية هي ما يمكن الاعتماد عليه في بيان مدى تأثير الغربة في حياته وفي شعره، كما كشف البحث عن أبرز المظاهر التي تدور في فلك الاغتراب والغربة عند أبي إسحاق الغزي، متمثلة في الغربة المكانية، والاجتماعية، والزمانية.

أهم التوصيات: يوصي البحث بالتوسع في تناول مظاهر الغربة لدى الشعراء الذين تجلت مظاهرها في أشعارهم، خاصة من ملك القدرة على وصف معاناته، وكيفية مواجهته للغربة، سواء كانت مكانية، أو زمانية، أو سياسية، أو نفسية، أو اجتماعية.

مكتبة المصادر والمراجع:

١- أدب الغرباء، أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق د.صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.

٢- الإشارات الإلهية، أبوحيان التوحيدي، تحقيق د. وداد القاضي، دار الثقافة، لبنان.

٣- أصول علم النفس د.أحمد عزت راجح، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.

٤- الأعلام خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة.

٥- الاغتراب، ريتشارد شاخت، ترجمة كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة١٩٨٠م.

٦- الاغتراب الشيبي والزمان عند ابن الرومي، إعداد علي محمد الشاظوف، مجلة البحث العلمي في الآداب، جامعة عين شمس، العدد١٦ لسنة ٢٠١٥م – الجزء الرابع.

٧- الاغتراب سيرة ومصطلح ، لمحمود رجب، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٨ م.

٨- الاغتراب النفسي، د.إبراهيم عيد، مكتبة الأنجلو المصرية.

٩- الاغتراب وانحراف الشباب العربي، د.عبدالمنعم محمد، المجلة العربية للدراسات الأمنية.

١٠- الإمتاع والمؤانسة، التوحيدي، أبوحيان، صححه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٢٤هـ.

١١- الأنثروبولوجيا النفسية، د.قيس النوري، بغداد،١٩٩٠م.

١٢- البيان والتبيين، الجاحظ، عمرو بن بحر، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٦٤م.

١٣- الصداقة والصديق، أبو حيان التوحيدي، تحقيق د.إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨.

١٤- بهجة المجالس وأنس المجالس، أبوعمر يوسف بن عبد البر القرطبي، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت.

١٥- الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، محمد إبراهيم حور، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

١٦- الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، ماهر حسن فهمي، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٩م.

١٧- الشاعر وذاكرة الطفل في الشعر العربي، الربيحات، عمر أحمد رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، الأردن.
١٨- الطبيعة في الشعر الجاهلي، القيسي، نوري حمودي، دار الإرشاد والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
١٩- الكشكول، العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين تحقيق الطاهر أحمد الزاوي، الناشر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٢٠- الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٢١- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، لشمس الدين الذهبي، تحقيق د.بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.
٢٢- تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
٢٣- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د.إحسان عباس، الطبعة العربية الأولى، ٢٠٠١م، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله.
٢٤- التصوير البياني في شعر أبي إسحاق الغزي، د. بدر بن لافي الجابري، دار سطور عربية، جدة، ١٤٤٣ه.
٢٥- الثنائيات الضدية في شعر أبي إسحاق الغزي، إعداد هويدا صالح كامل، رسالة ماجستير، عام٢٠١٨م، الجامعة المستنصرية، بغداد.
٢٦- خريدة القصر وجريدة العصر، للعماد الأصفهاني الكاتب، قسم شعراء الشام، تحقيق د. شكري فيصل، المطبعة الهاشمية بدمشق، ١٣٧٥ه.
٢٧- ديوان الغزي، تحقيق د.عبدالرزاق حسين، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث،١٤٢٩ه.
٢٨- دراسات في سيكولوجية الاغتراب، لعبد اللطيف خليفة، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.
٢٩- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.
٣٠- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣١- رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٣٢- شعر ابن لنكك البصري، تحقيق د.زهير غازي زاهد، الطبعة الأولى،كولونيا، ألمانيا، ٢٠٠٥م.
٣٣- الغربة والاغتراب في الشعر العراقي المعاصر – مرحلة الرواد – محمد راضي جعفر، رسالة ماجستير، ١٩٩٥م.
٣٤- فكرة الاغتراب في الفكر العربي، سحبان خليفات، مجلة أفكار، العدد٢٤، أيلول، ١٩٧٤م.
٣٥- قضايا النقد الأدبي والبلاغة، العشماوي، محمد زكي، دار الكتاب العربي للطباعة بالإسكندرية.
٣٦- كتاب العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق د.مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٣٧- لسان العرب، ابن منظور، الطبعة الأولى، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م.
٣٨- مجمع الأمثال، الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الإيمان، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٣٩- معجم مصطلحات الأدب، إنكليزي – فرنسي – عربي، تأليف مجدي وهبة، مكتبة لبنان، بيروت. ١٩٧٤م.
٤٠- مقاربة أسلوبية لشعر أبي إسحاق الغزي، د. ماهر رمضان قنن، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية في غزة، ١٤٣٨ه-٢٠١٧م.
٤١- نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، د السيد علي شتا، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م.
٤٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ.
٤٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.